معهد الدين القيم

بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس أصول السُّنَّة

شرح الشيخ محمود الراعوش حفظه الله

الدرس رقم (13)

التاريخ: الاثنين 13/جمادى الثاني/1440 هـ

18/شباط (فبراير)/2019 م

عنوان هذا الدرس

(بيان معنى النفاق وأنواعه)

ملخص الدرس الثالث عشر:

اشتمل هذا الدرس على:

- الأصل ال (٢٥) وهو: -

- بيان معنى النفاق: وأنه أكبر وأصغر.
- وكذلك الكفر أكبر وأصغر، وأيضا الظلم والفسق والشرك والبدعة؛ كل ذلك منه أكبر ومنه أصغر.
- وأن معنى الأكبر: الذي يخرج من الملة.
- وأن الأصغر: الذي لا يخرج من الملة.
- والتحذير من خطر النفاق والمنافقين

○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وليّ الصالحين وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد؛

الأصل الخامس والعشرين

فهذا هو **الدرس الثالث عشر** من شرح أصول السنة، ووصلنا إلى: الأصل الخامس والعشرين؛ وهو في **بيان معنى النفاق وأنه أكبر وأصغر**.

فهذا الأصل فيه بيان معنى النفاق وبيان أنواعه.

والنفاق في اللغة: هو مخالفة الباطن للظاهر.

وفي الشرع نوعان: أكبر وأصغر.

فالنفاق الأكبر: هو أن يعتقد الكفر ويظهر الإسلام.

والنفاق الأصغر: هو نفاق العمل، ولا يُخرِج من الملّة.

والنفاق مذموم كله، وهو مرض خطير من أمراض القلوب، والمنافق:

- إما أن يكون خارجاً من الملّة
- أو يكون مرتكباً لكبيرة من كبائر الذنوب.

وقد بيّن المؤلف رحمه الله هذين النوعين من النفاق، فقال -رحمه الله- في النفاق الأكبر:

" والنفاق هُوَ الْكفْر أَن يكفر بِاللَّه ويعبد غَيره وَيظْهر الْإِسْلَام فِي الْعَلَانِيَة مثل الْمُنَافِقين الَّذين كَانُوا على عهد رَسُول الله ﷺ".

المنافق النفاق الأكبر -كما قلنا- هو أن يعتقد الكفر ويظهر الإسلام، كما قال تبارك وتعالى:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٨]

وقال تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ [المنافقون: ١]

فالمنافق النفاق الأكبر كافر، يعبد غير الله، ولكنه يتظاهر بالإسلام، فهو ليس مسلماً أصلاً، ولكنه ولغرض في نفسه يتظاهر بأنه مسلم، ينطق بالشهادتين ويصلي مع المسلمين، وهو في قلبه مكذّب بالإسلام ويعبد غير الله، فهذا لا ينفعه النطق بالشهادتين ولا الصلاة ولا الصدقة؛ لأن الإيمان ليس قولاً فقط، إنما الإيمان قول واعتقاد وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وقد تقدم شرح هذا والحمد لله.

والمنافق يتظاهر بالإسلام لأغراض في نفسه، منها:

- إما خوفاً على نفسه من القتل.
- أو رغبة في الغنائم.
- أو لإفساد الدين.

أو لغير ذلك، وهؤلاء الأصناف الثلاثة ظهروا في زمن الرسول ﷺ في العهد المدني، ولم يكن النفاق موجودا في العهد المكي، لأن المسلمين كانوا مستضعفين في مكة وليس لهم قوة ولا دولة، فلم يكن المشركون بحاجة إلى النفاق، بل كانوا يظهرون كفرهم، بل إن الكثير من المسلمين كان يخفي إيمانه خوفاً من المشركين، فلما صار للمسلمين في المدينة دولة، وصار لهم بعد غزوة بدر شوكة وقوة، خاف بعض المشركين من إظهار كفرهم، فتظاهروا بالإسلام وظهرت هذه الأصناف الثلاثة.

فمنهم من تظاهر بالإسلام خوفاً على نفسه من القتل، ومنهم من تظاهر بالإسلام طمعاً في الغنائم، ومنهم من تظاهر بالإسلام لإفساد الإسلام على المسلمين، كما أخبر الله عن بعض اليهود فقال تعالى: ﴿ وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ

﴿وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢]، كانوا يتظاهرون بالإسلام حتى يفسدوا على المسلمين دينهم.

وكان المنافقون في المدينة بضعة وثمانون منافقاً، هؤلاء لم يسلموا، وكان خطرهم كبيرًا على الإسلام والمسلمين، ولذلك حذّر الله منهم كثيراً في القرآن، وذكر كثيراً من صفاتهم، وجعلهم في الدرك الأسفل من النار.

والنفاق الذي في القرآن أكثره من النفاق على الرسول عليه السلام، فهو من النفاق الأكبر، النفاق إذا أُطلِق في القرآن يُقصَد به النفاق الأكبر، ففضحهم الله عز وجل وحذّر منهم في آيات كثيرة لشدة خطرهم وخبثهم. ولكنهم لما كانوا يتظاهرون بالإسلام قبِل الرسول ﷺ علانيّتهم ووكل سرائرهم إلى الله ولم يقتلهم، حتى لا تقول العرب إن محمداً يقتل أصحابه، فهذا يصدّ الناس عن الإسلام وهذه مفسدة كبرى.

ثم بقي هذا الحكم ثابتاً محكماً؛ وهو أن الحكم على الناس إنما يكون على الظاهر، فمن أظهر الإسلام يعامَل معاملة المسلمين ونكِلُ سريرته إلى الله عز وجل.

وفي زمننا هذا لا نجد الصنفين الأول والثاني من الأصناف التي ذكرتها لكم، لأن الإسلام اليوم ضعيف عند المسلمين، فالمنافق اليوم يُظهِر نفاقه على الملأ ولا يبالي، فتجد المرتدّين والزنادقة يتظاهرون في الطرقات ويطالبون بإظهار كفرهم، ويطالبون بحقوقهم المزعومة بلا خوف من أحد.

أما الصنف الثالث فموجود اليوم وبكثرة، وهو الصنف الذي يُظهِر الإسلام لإفساد الدين على المسلمين، هؤلاء المنافقون خطرهم على الإسلام والمسلمين أشد من خطر اليهود والنصارى والوثنيين، لأن المشرك عدوٌّ ظاهر، أما المنافق فإنه يأتيك في جثمان صديق، تراه يُظهِر الإسلام ويُظهِر الغيرة على الإسلام والمسلمين، فيقع الجهّال في حبائله، ويصدّهم عن دين الله بوسائله الخبيثة.

ولذلك فلا يجوز لك أن تسمع إلا لمن زكّاه أهل العلم، لا يجوز السماع للمجروحين ولا للمجهولين؛ وهم الذين ليس لهم تزكية من أهل العلم؛ لاحتمال أن يكونوا منافقين وأنت لا

تعلم.

والمنافقون الذين يتظاهرون بالغيرة على الدين اليوم فِرَقٌ كثيرة ولهم أسماء شتّى لا تكاد تحصى؛ كالعلمانيين والديمقراطيين والعقلانيين والقبوريين والرافضة والقرآنيين والحزبيين على مختلف صورهم، ومنهم من يسمّى بالمفكر الإسلامي فلان، ومنهم دعاة تحرير المرأة ودعاة المساواة بين الرجل والمرأة، ومنهم الخوارج، ومنهم من يطعن في الصحابة، ومنهم من يطعن في علماء الأمة الراسخين، ومنهم من يشكك في السنة عن طريق الطعن في الصحيحين أو في أبي هريرة رضي الله عنه -راوية الإسلام-، ومنهم من ينكر بعض أحكام الشريعة الثابتة في الكتاب والسنة والإجماع؛ كالقصاص والرجم والقطع والجلد وبعض المواريث، وغير ذلك من الأساليب الشيطانية الخبيثة والتي تؤدي كلها في النهاية إلى إفساد الدين على الجاهل من عوام المسلمين.

كثير من هؤلاء المنافقين يتظاهرون بالدفاع عن الإسلام وهم في الحقيقة ينفّرون الجهّال عن الإسلام، فريستهم الجهّال، يقع في حبائلهم الجاهل بدين الله عز وجل، فهؤلاء دعاة على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها، فالحذر الحذر من هؤلاء المخادعين.

ونحن إنما نحاربهم ونحْذَرُهم بالعلم النافع وبفهم السلف الصالح، وبالدعوة إلى الله على بصيرة، فإذا عرف الناس الإسلام الذي أنزله الله إلى العباد رفضوهم وحاربوهم.

ونعامل هؤلاء المنافقين كما عاملهم الرسول ﷺ؛ إذا كان ظاهرهم الإسلام فهم عندنا مسلمون، ولا نكفّر إلا من أظهر نفاقه وحكم عليه أهل العلم الراسخون أنه كافر، فإن شأن التكفير ليس لنا، وإلا صرنا كالخوارج الضالّين الذين يكفّرون الناس بلا ضوابط، فنتعامل مع هؤلاء المنافقين كما نتعامل مع أهل البدع لأنهم يُظهرون الإسلام، وقد تقدم التفصيل في تحريم السماع لأهل البدع، وهؤلاء المنافقون من أهل البدع، فلا تجوز مجالستهم ولا السماع لهم ولا النظر في كتبهم، ولا الدخول إلى مواقعهم، لأنك قد لا تعلم أنهم منافقون، ولذلك يجب الحذر منهم، وذلك بأن لا تستمع إلا لمن زكّاه أهل العلم، فلا يجوز السماع -كما قلت آنفاً- للمجروحين ولا للمجهولين الذين لم يزكّيهم أهل العلم، والواجب عليك الرجوع إلى أهل العلم الثقات الراسخين الذين زكّاهم العلماء، لا يجوز ان نأخذ ديننا إلا من الثقات الذين زكّاهم أهل العلم، بهذا تحافظ على دينك وتحفظ نفسك من شر هؤلاء المنافقين.

أما النفاق الأصغر: فهو نفاق في العمل، وهو غير مُخرِج من الملة.

أي أنه يعتقد الإسلام، هو مسلم لكنه فيه خصلة من خصال المنافقين التي لا تُخرِج من الملة، فتجده يُبْطِن الشر ويُظهر الخير وهذا نفاق؛ مثل الكذب في الحديث، والخيانة في الأمانة، وإخلاف الوعد، وغدر العهد، والفجور في الخصومة. . . وغير ذلك من خصال المنافقين مما لا يُخرِج من الملة، هذا هو النفاق الأصغر، وهو من كبائر الذنوب وخطره شديد على القلب.

قال المؤلف رحمه الله في النفاق الأصغر: **(وهذه الأحاديث التي جاءت:**

- **"ثَلَاث من كن فِيهِ فَهُوَ مُنَافِق. . . "[1] هذا على التَّغْلِيظ نرويها كَمَا جَاءَت وَلَا نفسرها.**
- **وَقَوله: "لَا ترجعوا بعدِي كفَّارًا ضلالا يضْرب بَعْضكُم رِقَاب بعض".[2]**
- **وَمثل: "إِذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فِي النَّار".[3]**
- **وَمثل: "سباب الْمُسلم فسوق وقتاله كفر".[4]**
- **وَمثل: "من قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِر فقد بَاء بهَا أَحدهمَا".[5]**
- **وَمثل: "كفر بِاللَّه تبرؤ من نسب وَإِن دق"[6]**

وَنَحْو هَذِه الْأَحَادِيث مِمَّا قد صَحَّ وَحفظ، فَإِنَّا نسلم لَهُ وَإِن لم نعلم تَفْسِيرهَا وَلَا نتكلم فِيهَا وَلَا نجادل فِيهَا وَلَا نفسر هَذِه الْأَحَادِيث إِلَّا بمثل مَا جَاءَت، لَا نردها إِلَّا بِأَحَق منها). انتهى

. . . . . .

هذه الأحاديث التي ذكرها المؤلف كلها صحيحة، كلها في الصحيحين إلا الحديث الأخير فهو في مسند الإمام أحمد وهو حسن، ولفظه: " كُفرٌ تَبرُّؤٌ من نسب وإن دقّ " (مسند أحمد ٧٠١٩)، وليس فيه قوله: " بالله "، فأطلق الكفر، فيكون الكفر بمعنى كفر النعمة.

---

[1] أخرجه أحمد ١٠٩٢٥ عَنِ الْحَسَنِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ"، وأخرجه البخاري٣٣، ٢٦٨٢، ٢٧٤٩، ٦٠٩٥. ومسلم ٥٩، والترمذي ٢٦٣١.

[2] متفق عليه من حديث ابن عمر، البخاري: ٦١٦٦، ٦٨٦٨، ٧٠٧٧. ومسلم: ٦٦.
وأخرجه البخاري من حديث جرير بن عبد الله البجلي: ١٢١، ٤٤٠٥، ٦٨٦٩، ٧٠٨٠. وأخرجه أيضا من حديث ابن عباس ١٧٣٩.

[3] متفق عليه من حديث أبي بكرة، البخاري: ٣١، ٦٨٧٥ ومسلم: ١٦٨٠، ٢٨٨٨.

[4] متفق عليه من حديث عبدالله بن مسعود، البخاري: ٤٨، ٦٠٤٤، ٧٠٧٦ ومسلم: ٦٤.

[5] متفق عليه من حديث ابن عمر، البخاري: ٦١٠٤ ومسلم: ٦٠. وأخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ٦١٠٣

[6] أخرجه أحمد ٧٠١٩. وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٤٤٨٥.

وورد بمعنى هذا الحديث أحاديث في الصحيحين.

وهذه الأحاديث كلها أمثلة على النفاق الأصغر والكفر الأصغر.

وللعلماء في تفسيرها مذهبان:

-المذهب الأول: أنها لا تُفسَّر، وهذا من باب كتم العلم للمصلحة،

فيجوز كتم بعض العلم عن عوام الناس للمصلحة، فتُذكَر لهم هذه الأحاديث كما ذكرها الرسول ﷺ كما هي ولا تُؤوَّل، تُذكَر لهم هكذا على ظاهرها، ولا نقول لهم هذا من الكفر الأصغر أو من النفاق الأصغر، وذلك لتعظيم شأن هذه الأحاديث في نفوس العامّة، لأن العامّي يظن الكفر الأصغر من صغائر الذنوب فلا يرتدع عن هذه الكبائر إذا فُسِّرَتْ له، إذا فُسِّرَتْ له ضَعُفَ شأنها في نفسه، فتُذكَر له كما هي ولا تُفَسَّر، وهذا للتغليظ، أي لتغليظ شأنها، وللوعيد الشديد لأنها من الكبائر، فهذا من(باب كتم بعض العلم للمصلحة)، وهو جائز بلا شك، ولذلك قال المؤلف: **(هذا على التغليظ)**، أي أن الرسول ﷺ أطلق النفاق، وأطلق الكفر؛ لتغليظه في النفوس ولردع الناس عن هذه الكبائر.

-المذهب الثاني: أنها تُفَسَّر، أي تُفَسَّر بأنها من النفاق الأصغر والكفر الأصغر، فنفسرها لمن فهمها بفهم الخوارج.

أي أن من يظن أن هذه الأحاديث من النفاق الأكبر المُخرِج من الملة، ويظنها من الكفر الأكبر المُخرِج من الملة؛ فهذا قول الخوارج الرديء الذين يُكفّرون بالكبيرة، فإذا خُشِي على شخص أو على جماعة أن يفهموا هذه الأحاديث بفهم الخوارج؛ فالواجب في هذه الحالة أن تُفَسَّر لهم وتُبَيَّن لهم، فنُبيّن لهم أن هذه الأحاديث من الكفر الأصغر والنفاق الأصغر الذي لا ينقل عن الملة، ونُبيّن لهم أن هذا ثابت عن الصحابة وأنهم فسّروا الكفر كفرين؛ كفراً دون كفر، كما ثبت عن ابن عباس، وكما فصّل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة؛ أن **الكفر كفران وأن النفاق نفاقان**، ولا تُحمَل هذه الأحاديث على الكفر الأكبر والنفاق الأكبر إلا إذا استَحلّها، فيكفر حينئذ بالإجماع.

وهناك الكثير من الأدلة من الكتاب والسنة على أن الكفر كفران،

الكفر يُطلَق ويُراد به الكفر الأكبر، وقد يُراد به الكفر الأصغر الذي لا يُخرِج من الملة، ولكنه كبيرة من الكبائر، ولذلك أطلق الرسول ﷺ لفظ الكفر لتغليظ شأنه، أي للوعيد الشديد.

ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام كما سمعتم: «لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»[1] فجعل قتْل المسلم كفراً.

وقال: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»[2]

فجعل قتْل المسلم كفراً، ولكن هل هذا كُفرٌ أكبر؟!

والجواب تجده في قوله تعالى في سورة الحجرات: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات: ٩] .

سمّاهم الله مؤمنين.

وقال في الآية التي بعدها: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠]

فسمى المسلمين الذين يتقاتلون مؤمنين، وجعلهم إخواننا ولم يخرجهم من الأُخُوّة الإيمانية فقال: ﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ .

إذن قتْل المسلم كفر لكنه لا يُخرِج من الملة، وهو ما يسمى بالكفر الأصغر.

وحديث: " «لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا . . . "؛ قاله الرسول ﷺ في حجة الوداع، وكان يخاطب عدداً كبيراً من الناس منهم الأعراب وأهل البادية، فأراد عليه الصلاة والسلام أن يُغَلِّظ من شأن الدماء، لأن شأن الدماء عظيم عند الله، فأول ما يُقضى فيه يوم القيامة الدماء، ولذلك قال ﷺ: «إِذَا التَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ»[3] فتوعّدَ القاتل والمقتول بالنار لكنه

---

[1] (متفق عليه من حديث ابن عمر، البخاري: ٦١٦٦، ٦٨٦٨، ٧٠٧٧. ومسلم: ٦٦.
وأخرجه البخاري من حديث جرير بن عبد الله البجلي: ١٢١، ٤٤٠٥، ٦٨٦٩، ٧٠٨٠. وأخرجه أيضا من حديث ابن عباس ١٧٣٩).

[2] (متفق عليه من حديث عبدالله بن مسعود، البخاري: ٤٨، ٦٠٤٤، ٧٠٧٦ ومسلم: ٦٤).

[3] (متفق عليه من حديث أبي بكرة، البخاري: ٣١، ٦٨٧٥ ومسلم: ١٦٨٠، ٢٨٨٨).

سمّاهما مسلمَيْن، وهذا دليل صريح على أن القاتل المتعمّد لا يكفر لأنه قال (إِذَا التَقَى المُسْلِمَانِ)، فسماهما مسلمين.

وبعد؛

فهذا الأصل على درجة كبيرة من الأهمية لفهم النصوص من الكتاب والسنة والجمع بينها، ولفهم شريعة الله على مراد الله ورسوله،

فيجب على كل طالب علم أن يعلم:

- أن النفاق نوعان: أكبر وأصغر،
- وأن الكفر نوعان: أكبر وأصغر،
- وكذلك الفسق والظلم والشرك؛ منه أكبر ومنه أصغر،
- وكذلك البدعة نوعان: مكفّرة وغير مكفّرة.

فهذا أصل مهم جداً، وفيه ردّ على الخوارج الذين ضلّوا وانحرفوا عن الصراط المستقيم بسبب جهلهم بهذا الأصل، ففهموا جميع آيات الوعيد على أنها من الكفر الأكبر المُخرِج من الملة، وهذا ضلال مبين، أخذوا بجانب من النصوص وعطلوا الجانب الآخر، أما أهل السنة أخذوا بجميع النصوص ولم يهملوا منها شيئا.

ومن لم يستطع أن يفهم هذا التفصيل الذي بيّنّاه، أو لم يسمع به فيجب عليه التصديق بهذه الأحاديث على مراد رسول الله ﷺ، وأن يسلّم بها، ولا يجوز له أن يفسّرها على هواه، وهذا هو معنى قول المؤلف: (فَإِنَّا نسلم لَهُ وَإِن لم نعلم تَفْسِيرهَا وَلَا نتكلم فِيهَا وَلَا نجادل فِيهَا)، يعني؛ من لم يعلم معناها يسلّم بها، أي؛ إن ضعف فهمك لها ولم تستطع فهمها فعليك بالتسليم لها والتصديق بها، وقل آمنت بحديث رسول الله على مراد رسول الله. . فيسلم لك دينك.

وقد ذكرنا هذا الأصل من قبل؛ وهو أن الواجب التصديق والتسليم بالنصوص التي لا يفهمها الإنسان.

وقول المؤلف (وَلَا نتكلم فِيهَا)؛ أي لا نتكلم في الحديث بآرائنا وأهوائنا.

وقوله **(ولا نجادل فيها)**: أي لا نجادل الجدل الذي على وجه المغالبة والمخاصمة فهذا جدل مُحَرّم -كما تقدم في الدروس الماضية.

وقوله **(ولا تُفَسَّر هذه الأحاديث إلا بمثل ما جاءت)**: أي نُفَسّر الحديث بحديث مثله، كما تقدم في تفسير معنى الكفر وأنه كفر أكبر وكفر أصغر وأن النفاق أكبر وأصغر، هذا التفسير ليس من عقولنا وليس من اجتهادنا بل أخذناه بدلالة الآيات والأحاديث الأخرى.
ولذلك قال رحمه الله: **(ولا نردّها إلا بأحقّ منها)**: أي لا ننكرها بآرائنا وأهوائنا، بل نؤولها بأحاديث أقوى منها؛ أي أوضح منها وأصرح منها في المعنى فنفسرها بها.

وبعد أن فهمنا هذا الأصل؛ أود أن أختم بالتحذير من خطر النفاق، فأقول مستعيناً بالله:
إن الواجب على كل مسلم ومسلمة سيما طالب العلم وطالبة العلم؛ الواجب عليهم جميعاً أن يحذروا أشد الحذر من خصال النفاق،
ولْيعلموا أن **الكذب** هو مفتاح النفاق، لقوله ﷺ: " إذا حدّث كذب "، لمّا ذكر خصال المنافق بدأ بذكر الكذب لشدة خطره ولأنه أُسّ النفاق وأساسه، فالكذب آفة عظيمة وكذب المرء في حديثه وكلامه طريق نهايته النار. والكذب أنواع كثيرة لكن المقصود هنا هو الكذب في الحديث؛ أي إذا تحدث وتكلم يكذب، فهذا مفتاح كل شر، كما قال ﷺ: " وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ". متفق عليه.
بينما الصدق في الحديث سبيل إلى الجنة، كما قال ﷺ: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، . . . " متفق عليه.

فاختر لنفسك يا عبد الله، واختاري لنفسك يا أمة الله، فإما أن تختاروا سبيلاً يؤدي بكم إلى النار ! وإما أن ان تختاروا سبيلاً يؤدي بكم إلى الجنة !.

ومن خصال المنافقين: **خيانة الأمانة**.

لقوله عليه الصلاة والسلام: " وإذا اؤتمن خان "؛ فهذا من النفاق في القلب، وقد ضاعت الأمانة اليوم أو كادت إلا من رحم ربي وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ، وهذا راجع بلا ريب إلى النفاق في القلب مما يؤدي إلى التلوّن في الدين وإيثار العاجلة على الآجلة.

ومن خصال النفاق والمنافقين: **إخلاف الوعد**..

قال عليه الصلاة والسلام (إذا وعد أخلف) فهذا من النفاق بلا شك، الرجل يعقد مع أخيه موعداً وهو ينوي أن يخلف معه، هذا ضابطه، أما إذا أخلف الموعد لعذر فلا يضرّه ذلك، ويجب على أخيه أن يعذره ولو تضرر بذلك، ولا يرميه بالنفاق من غير أن يتثبّت من عذره، فإذا أخلف الإنسان لعُذر فإنه يُعذَر، ولا يجوز أن نقول بأنه منافق، ولكن إذا عقد مع أخيه موعداً وهو ينوي أن يُخلف، أو لم يكن ينوي أن يخلف ولكنه بعد ذلك أخلف من غير عذر؛ فهذا من النفاق.

أما **الغدر بالعهد**..

وهو قوله ﷺ (وإذا عاهد غدر)، فهذا أيضًا من خصال المنافقين، والله تبارك وتعالى يقول:

﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: 34]

. ويدخل في العهود؛ الشروط بين المسلمين والاتفاقيات والعقود سواءٌ كانت مكتوبة أو شفوية غير مكتوبة، فيجب على المسلم الوفاء بذلك كله لأن الله سائلك عن ذلك كله كما قال تعالى ﴿ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ ، حتى مع الكفار يجب عليك الوفاء بالعهود والمواثيق ولو كانوا محاربين وهذا ثابت بنصوص الكتاب، ومن هدي نبينا عليه الصلاة والسلام.

ومن خصال المنافقين؛ **الفجور عند الخصومة**..

قال ﷺ: (وإذا خاصم فجر)؛ وهذا بلاء عظيم قد انتشر اليوم، ولا يكاد ينجو من هذه الخصلة إلا أقل القليل من المسلمين والله المستعان، حتى عند بعض طلاب وطالبات العلم الذين يدّعون السلفية ويُظهِرون التديّن والتقوى فإننا نرى منهم العجب العجاب عند الخصومات؛ الجيران

والشركاء والأزواج والزملاء، خذ مثلاً الأزواج؛ فإذا ما وقعت بين الزوجين خصومة ثم وقع الطلاق، فإنك تجد كلاً منهما يفتري على صاحبه في المحاكم، ويهته ويكذب عليه وقد يقذفه في عرضه وقد يفشي أسراره، وقد يشهد عليه بالباطل شهادة الزور، وينسى كلٌّ منهما فضل الآخر عليه، تنسى فضله عليها وهو ينسى فضلها عليه، وكأنهما ما كانا زوجين في يوم من الأيام، ونسوا قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

هذا خطاب للأزواج ولغيرهم، فإنك تجد القضايا في المحاكم تطول لسنوات، وكل هذا بسبب النفاق في القلوب فالمنافق إذا خاصم فجر. وكذلك إذا تخاصم الشقيقان والشريكان والجيران. ... المؤمن لا يفجر والمنافق يفجر، فاحذر من الفجور عند الخصومة ولا تظلم أخاك عند الخصومة، وحتى لو كانت الخصومة مع كافر لا يجوز أن تظلمه، لكن عِرض المسلم أشد حرمة عند الله، فإن كان من الأقارب والجيران فالأمر أشد وأشد، وتذكّر دائما عند الخصومات قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠]

فالله عز وجل يرانا أفلا نراعي نظر الله إلينا.

وخصال النفاق كثيرة جداً، وقد ذكر النبي ﷺ النفاق الأصغر في أحاديث كثيرة، وذكر الله تبارك وتعالى في القرآن خصال المنافقين النفاق الأكبر، فمن اتّصف بشيء من خصالهم ففيه خصلة من النفاق حتى يدعها، ومن ذلك -بالإضافة إلى ما تقدم ذكره:

التكاسل عن الصلاة، وقلّة ذكر الله؛ أي في الصلاة وخارجها، **والاستهزاء بالدين وأهله والسخرية منهم، وبغض المؤمنين ومعاداتهم، ومحبة المشركين وموالاتهم طمعاً في الدنيا، والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، والإعراض عن حكم الله ورسوله، والاعتراض عليه، والإعراض عن تعلّم الشريعة وعدم التفقه في الدين، ومظاهرة المشركين على المسلمين طمعاً في الدنيا، والرياء. . . وغير ذلك**، كلها من صفات المنافقين.

ولأن خصال النفاق كثيرة، فإن المؤمن الصادق يخاف على نفسه من النفاق بنوعيه، المؤمن الصادق يحذر النفاق أشد الحذر، قال الحسن البصري رحمه الله (ما أمِن النفاق على نفسه إلا منافق)،

وكان النبي ﷺ كثيراً ما يدعو «اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»[1]

هذا لأن القلوب تتقلب ولا تستقر على حال واحد، وكان عمر رضي الله عنه يخشى على نفسه النفاق وهذا من شدة إيمانه رضي الله عنه، فكان يسأل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه (هل تجد اسمي مع المنافقين)، سبحان الله ! عمر يخاف على نفسه من النفاق، وحذيفة هو صاحب سر رسول الله ﷺ وقد أخبره عن المنافقين.

وقال ابن أبي مليكة -وهو أحد التابعين –(أَدركت ثلاثين من أَصحابِ النبيِّ – ﷺ – كلُّهمْ يَخَافُ النِّفَاقَ على نفْسِهِ).

الصحابة يخافون على أنفسهم النفاق مع أنهم لا يفعلون أي خصلة من خصال المنافقين، أما اليوم؛ فالكثير ممن يتّصف بالعديد من صفات المنافقين ولكنك تجده يزكّي نفسه ويدافع عن نفسه؛ يحارب أخاه لأجل أن يدافع عن نفسه ولا يخاف النفاق مع أنه منافق -والعياذ بالله ..

وصدق الحسن البصري فقد قال (ما أمِن النفاق على نفسه إلا منافق).

والنفاق الأصغر يجرّ صاحبه إلى النفاق الأكبر، والمنافقون النفاق الأكبر في الدرك الأسفل من النار، وأُسّ النفاق الكذب -كما قلنا من قبل -نعوذ بالله من الكذب ومن النفاق، فالنفاق داء خطير يفتك بالقلب. نسأل الله العفو والعافية،

هذا والله تعالى أعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

○ ● ○ ● ○ ● ○ ● ○ ● ○ ● ○ ●

[1] مسلم٤٦٥٤.

أسئلة الدرس الثالث عشر:

السؤال الأول: اذكر أنواع النفاق، وعرف كل نوع.

الجواب:

النفاق نوعان:

- النفاق الأكبر: وهو أن يعتقد الكفر ويظهر الإسلام.
- النفاق الأصغر: وهو نفاق العمل ولا يخرج من الملة.

السؤال الثاني:

اذكر بعض الأمثلة على كل نوع من أنواع النفاق.

الجواب:

- من أمثلة النفاق الأكبر:

-أن ينطق بالشهادتين وهو مكذب بهما.

-الاستهزاء بشيء من الدين.

-كراهية شيء مما أنزل الله.

- ومن أمثلة النفاق الأصغر:

-إذا حدث كذب. - وإذا وعد أخلف.

-وإذا اؤتمن خان. - وإذا خاصم فجر.

-وإذا عاهد غدر. - والرياء.

-والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف.

-موالاة المشركين لأجل الدنيا.

السؤال الثالث:

اذكر بعض مظاهر النفاق في زماننا والذي يستعمل لإفساد الدين على المسلمين.

الجواب:

من ذلك العلمانية، والديمقراطية، والعقلانيون، والقرآنيون، والقبوريون، والرافضة، والخوارج، والحزبية، والدعوة إلى تحرير المرأة، والطعن في الصحابة؛ خصوصا معاوية وأبو هريرة رضي الله عنهما، والتشكيك في السنة خصوصا في الصحيحين، وإنكار بعض الأحكام الشرعية الثابتة بالكتاب والسنة والإجماع: كالقصاص والرجم والقطع والجلد والمواريث.

السؤال الرابع:

أخرج مسلم في صحيحه (٥٩) وأحمد(١٠٩٢٥) في مسنده عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ".

ما نوع النفاق في هذا الحديث؟

الجواب:

أجمع أهل السنة والجماعة أن هذا من النفاق الأصغر الذي لا يخرج من الملة خلافا لأهل البدع من الخوارج والمعتزلة؛ الذين فهموا نصوص الوعيد على أنها كفر أكبر مخرج من الملة.

وإنما سماها الرسول " نفاقا " من باب التغليظ لأنها من الكبائر، ولأنها من خصال المنافقين.

السؤال الخامس:

قال النبي النَّبِيِّ ﷺ: «لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْض».

وقال: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ».

وقال: «إِذَا التَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ».

ما نوع الكفر في هذه الأحاديث وأمثالها؟ وما الدليل؟

الجواب:

هذا كفر أصغر لا يخرج من الملة.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: 9]

فسمى الطائفتين مؤمنين مع أن بعضهم قتل بعضا.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: 10] فلم يخرجهم من الإخوة الإيمانية مع أن بعضهم قتل بعضا.

فدل هذا على أن قتل المسلم بغير حق كفر؛ أي كبيرة من الكبائر، فهو كفر أصغر وليس كفرا أكبر مخرجا من الملة، وإنما سماه الرسول كفرا للتغليظ ولشدة تحريمه لأنه من الكبائر.

وكذا يقال في الظلم والفسق والشرك.

أجمع أهل السنة والجماعة على هذا.

السؤال السادس:

إذا وقع المسلم في معصية، فأخفاها ولم يجاهر بها؛ فهل هذا من النفاق؟

الجواب:

لا ليس هذا من النفاق، لأنه منهي عن المجاهرة بالمعصية، ومأمور بالتوبة منها.

ولكن إذا كانت هذه المعصية من خصال المنافقين فهو منافق حتى يتوب منها؛ كالكذب مثلا وما شابهه من خصال المنافقين.

°°° **والحمد لله رب العالمين** °°°°